

الطيب الرائد يحيى بن ماسويه

حياته وأثاره

الدكتور سامي خلف حمارنة

إن جذور الطب العربي ومصادره التاريخية متعددة ، منها : أولاً حضارة المعرف الفنية والتقنية لدى أهل البلاد من العرب ، ومن الوفادين إليها ؛ وأساليب عيشتهم ، وتطور حرفهم فنياً ، ونموّ خبراتهم المهنية ، والتحليل في ممارستهم هذه المهن ، سواءً أكانت موروثة أم مكتسبة . وثانياً الاقتباس من الحضارات المعاصرة أو السابقة في الشرق الأقصى والهند وفارس والسريان في بلاد الملل الخصيـب والأقباط في مصر ، والنقل عن هذه الحضارات والتفاعل معها . على أن المنبع الرئيس المستمر والمتجدد ، والمصدر الأهم الأعظم أثراً بالتأكيد ، هو حضارة اليونان والرومـان ، وما تخصـست عنه ، منذ القرن الخامس ق.م ، من عطاء ظل باقياً أكثر من ألفي عام ، تحـلت قيمتها في المصطلحات الطبية ، والاشتقـاقات اللغوية ، وما استـبطوا من نظريـات معروفة ، دامت حتى عـصرنا الحاضـر .

ومن الرواد الذين أسهموا في وضع أسس الطب العربي بأقسامه وفروعـه العديدة ، الطبيب النطاسي أبو زكريا يحيـي (أو يوحـنـا) بن ماسويـه ، العـارـف بـأسـرـارـ العـلاـجـ فـيـهـ ، والـتـبـحـرـ فـيـهـ ، والـسـبـاقـ إـلـىـ تـطـوـيرـهـ ، الـذـيـ ذـاعـ صـيـتهـ بـيـنـ الأـطـبـاءـ الـعـربـ وـالـمـسـلـمـينـ ، فـوـرـدتـ أـخـبـارـهـ فـيـ الـكـثـيرـ منـ تـالـيـفـهـ . ثـمـ طـارـ ذـكـرـهـ الـعـطـرـ إـلـىـ أـورـوبـاـ ، بـعـدـ أـنـ تـرـجـمـتـ بـعـضـ كـتـبـهـ

من العربية إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى ، منذ القرن الثاني عشر ، وبذلك صار يعد من أوائل الذين ظلت الأوساط الطبية في الغرب تعرف فضله ، وتلهج بذكره قروناً عديدة^(١) .

أسرة ابن ماسويه :

لا نعرف شيئاً عن هذه الأسرة سوى أن أباه كان يدعى ماسويه ، (أبا يحيى أو يوحنا) ، وأنه كان مسيحياً نسطوري المذهب ، وأنه كان ذا نسب متواضع ، لم يختلف إلى مدرسة معروفة ، ولم ينل حظاً من العلم . لكنه عمل ، في مقابل يفاعته ، أجيراً في دكان للصيدلة تابع لبهاستان مدينة جنديسابور ، وكليتها الطبية ، التي كانت فريدة في نوعها في تلك المنطقة آنذاك . وكان موقع المدينة بالقرب من الأهواز في ولاية خوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس ، وقد أسسها الملك الساساني شاهبور^(٢) . كان ماسويه يعمل في دق الأدوية من غير تعلم سابق ، بيد أنه تمرس بالمران والدرية ، فخبر سبب الأمراض وتفصيلها وحسن معالجتها ، فاكتسب دراية في انتقاء الصالح من الأدوية ، وطرح الرديء منها ونبذه^(٣) .

(١) بير كيك Pierre Guigues ، « الكلمات العربية في كتاب سراييون » ، المجلة الآسيوية ، باريس ، ١٩٠٥ ، المقدمة بالفرنسية ، ولويس شيخو ، علماء التصرانة في الإسلام ، تحقيق كميل حشيمة ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ١٢ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، طبعة ثانية ، ليدن ج ٣ : ٨٩٦ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٥٩ ، وموفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيحة ، عيون الأنباء ، ج ١ ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩ هـ ، ص ١٠٩ ، ١٧١ ، ٧٥ - .

(٣) ابن أبي أصيحة ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٥ ، وجمال الدين علي بن يوسف القسطي ، تاريخ الحكماء ، طبعة مكتبة المتنى عن طبعة ليزج ، ١٩٠٣ ، ص ٣٢٨ .

وكانت ماسویه علاقة حميمة بالمختشي شعاعي الصيت ، الذين كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة ، فهم أصحاب البيمارستان والكلية الطبية الأنفي الذكر ، وهم الذين كانوا يتولون إدارتها . كما كانت ماسویه ، على ما يبدو ، صلات ودية ببيت الطبيب سرافيون ، الذي أنجب ولدين اثنين ، هما داود ويوحنا ، وكانا طبيبين أيضاً . وفي ظل رعاية هؤلاء جمِيعاً ، وبفضل ما كان لهم من مكانة عالية في صناعة الطب ، وإدارة البيمارستان ، وفق إلى الزواج من امرأة هناك ، أنجبت له ولدين ، هما يحيى (يوحنا) وميخائيل ، اللذان اشتهرتا فيما بعد بالصناعة الطبية ، كما سترى^(٤) .

بقي ماسویه الأب يخدم في صيدلية البيمارستان مدة تربو على ثلاثين عاماً ، أتقن في أثناءها صناعة الأدوية وتركيب العقاقير المتنوعة ، وتحضير الوصفات الطبية لمرضى البيمارستان وزائراته في العيادة الخارجية . كما تعلم طرق المعالجات المألوفة والنافعة بذكائه وفطنته واجتهاده ، وبات قادرًا على التمييز بين النافع والضار من الأعشاب ، التي كان العطارون والعشابون يجلبونها إلى دكان الصيدلية ، فلا يصف إلا النافع منها لزبائن البيمارستان .

زد على ذلك أن ماسویه أتقن صناعة الكحالة (طب العيون)

(٤) سرافيون أو سرافيون الطبيب من أهل باجرمي (أو باجرمك إقليم يقع شرق نهر دجلة بين جبال حمررين بالعراق ونهر الراي الصغير أو الأسفل من روافد دجلة وكانت كركوك (كركخادبیث سلوخ) المدينة الرئيسة وكان بين سكانها طائفة كبيرة من النساطرة (أتباع نسطور Nestorius بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ - ٤٣١) الذي خُليع من منصبه في مجمع أفسس المسكوني لخلافات تتصل بالعقيدة) . واشتهر ولذا سرافيون طبيبين فاضلين في العاصمة العباسية وجميع ما ألفه يحيى بن سرافيون كان بالسريانية .

انظر أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم ، الفهرست ، بيروت ، طبعة دار المعرفة ، ١٩٧٨ ، ص ٤١١ - ٢ ، والقططي ، تاريخ ، ٣٨٠ ، ٤٣١ ، وأبن أبي أصيبيع ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٤ .

بالممارسة والخبرة ، ودقة الملاحظة ، وخبر أساليب معالجة أمراض العيون ومفردات أدويتها الناجعة ، فكان لهذا أثر عظيم في تقدمه العملي ، ونجاحه المهني^(٥) .

كان عميد آل بختيشوع ، ورئيس البهارستان في جنديسابور ، والشرف على كلية^(٦)ها هو جرجيس بن بختيشوع ، الذي قدم في آخر أيامه إلى بغداد ، بدعوة من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فصار طبيب الخليفة بعد أن نال الشفاء على يديه ، وبقي في هذا المصب حوالي أربعة أعوام ، رجع بعدها ، لكبر سنه ، إلى جنديسابور ، مسقط رأسه ، حيث توفي سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م^(٧) .

(٥) أصيبيعة ، عيون ، المرجع أعلاه ، والقططي ، تاريخ ، ٣٢٨ - ٩ .

(٦) جبورجيس (أو جورجيس أو حرجس) الطبيب الأول المعروف من هذه العائلة يعرف بالجنديسابوري ، والمدينة نفسها كانت مسكنًا كحصن أسسها شابور الأول مؤسس دولة الساسانيين بعدما هاجم انتاكية بسوريا ودحر الجيش الروماني وأسر император فاليريان (ملك ٢٥٣ - ٢٦٠ م وحمله إلى فارس وسامه سوء العذاب حتى الموت تشقّيًا ، وكان هذا إيدانًا بسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية . وقد اعتبرت جندى سابور أعظم وأفضل من انتاكية . انظر ادورد جيبون (Edward Gibbon ١٧٣٧ - ١٧٩٤ م) ، تداعي الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ١ ، طبعة ثانية ، شيكاغو ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٣ - ١٠٢ ، وأيضاً ويل دورانت ، حقبة الإيمان ، نيويورك ، ١٩٥٠ ، ص ٢٣١ (بالإنكليزية) .

أما حفيده فهو شابور الثاني (٣٠٩ - ٧٩) الذي عمر طويلاً واستتب له الملك . أما الأعظم شهرة عند العرب فهو كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٧٩ م) ، الذي ناصر العلوم وشجع الكلية الطبية والبهارستان في جندى سابور ، فازدهرت هاتان المؤسستان ، وكانت لغة العلم فيما بالسريانية ، ولكن اليونانية كانت معروفة . انظر أيضًا القططي ، تاريخ ، ١٥٨ - ٦٠ ، واصيبيعة ، عيون ، ١ : ٣٤ - ١٢٣ ، وبامستراك A.Baumstrak ، تاريخ الأدب السرياني ، بون ، المانيا ، ١٩٢٢ ، ص ٢٣١ .

ثم حلّ محله ابنه بختي Shaw، الذي قدم أيضاً إلى مدينة السلام، بدعوة من الخليفة المهدى لمعالجة ولده الهادى، فتال على يده الشفاء، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى مدینته، حيث كان يعمل رئيساً للبيارستان بعد أبيه^(٧).

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد قدم إلى بغداد مرة أخرى بدعوة من الوزير القدير الواسع النفوذ جعفر بن يحيى البرمكى، وحالـه التوفيق في المهمة التي أوكلـت إليه، فولـاه الخليفة رئـاسـة أطبـاء قصـرـه، وظلـ يتـولـ هذه الرئـاسـة حتـى وفـاته سـنة ١٨٥ هـ / ٨٠١ مـ^(٨).

بعد ذلك تسلـم الحـفيـد جـبـرـيل (أو جـبـرـائـيل) رئـاسـة البيـارـستان، حتـى استـدـعـاه الخليـفة الرـشـيد، وولـاه رئـاسـة أطبـاء قصـرـه بـعدـ أبيـهـ، كـماـ وـلـاهـ إـدـارـةـ شـؤـونـ الـبـيـارـستانـ الـأـوـلـ منـ نـوـعـهـ فيـ التـارـيخـ العـرـبـيـ إـلـاسـلـامـيـ. كذلك عملـ جـبـرـيلـ فيـ خـدـمـةـ الـخـلـيـفـةـ الـأـمـيـنـ ثـمـ فيـ خـدـمـةـ الـخـلـيـفـةـ الـأـمـمـونـ حتـىـ وـفـاتهـ سـنةـ ٢١٣ـ هـ / ٨٢٨ـ مـ^(٩).

أما مـاسـوـيـهـ فقدـ وـقـعـ فيـ هـذـهـ الأـثـنـاءـ سـوءـ تـفـاـهـمـ بـيـنـ الطـبـيـبـ جـبـرـيلـ، فـطـلـبـ إـعـفـاءـ مـنـ الـعـلـمـ. ثـمـ رـحـلـ هوـ وـزـوـجـتـهـ وـولـدـاهـ إـلـىـ بـغـدـادـ، مـديـنـةـ السـلـامـ، حيثـ كـانـ جـبـرـيلـ قدـ اـرـتـحـلـ إـلـهـاـ مـنـ قـبـلـ. وـقدـ جـرـتـ

(٧) شـيـخـوـ، مجلـةـ المـشـرقـ، جـ ٨ـ (١٩٠٥ـ)، صـ ١١٠ـ ٢ـ، وـعـلـمـاءـ النـصـرـانـيـةـ، ١٩٨٣ـ، صـ ١١١ـ ٢١ـ، وـابـنـ النـدـيمـ، الفـهـرـسـتـ، صـ ٤١٣ـ.

(٨) أبوـ الفـرجـ غـرـيـغـورـيوـسـ الـمـلـطـيـ اـبـنـ العـرـيـ، تـارـيـخـ خـتـصـرـ الدـوـلـ، بـيـرـوـتـ، الـمـطـبـعـةـ الـكـاثـوليـكـيـةـ، ١٩٥٨ـ، صـ ١٢٤ـ ١٣٠ـ ٦ـ، وـالـقـفـطـيـ، تـارـيـخـ، صـ ١٠٠ـ ١٠٣ـ، وـأـيـضـاـ أـبـوـ العـبـاسـ أـحـمـدـ بـنـ خـلـكـانـ، وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ، تـحـقـيقـ إـحـسانـ عـبـاسـ، بـيـرـوـتـ، دـارـ صـادـرـ، ١٩٧٢ـ، جـ ١ـ : ٣٢٨ـ ٤٦ـ.

(٩) اـبـنـ أـبـيـ أـصـيـبـعـ، عـيـونـ، ١ـ : ١٢٧ـ ١٣٨ـ، وـمـارـيـ بـنـ سـلـيـانـ، أـخـبـارـ بـطـارـكـةـ كـرـسيـ المـشـرقـ، تـحـقـيقـ H. Gismondiـ، رـومـاـ، ١٨٩٩ـ، صـ ٧٤ـ ٨٠ـ.

محاولات لإصلاح ذات البين بينهما على غير طائل . ثم سعى إلى التقرب من الوزير الفضل بن الريبع ، ليتولى العمل في قصره . وكان من حسن طالعه أن خادماً للوزير كان مصاباً بعلة في عينيه ، فعالجه ماسويه بمهارة وحذق ، حتى شفي على يديه . وتناهى خبر ذلك إلى سمع الوزير ، فعينه كحالاً في قصره . وبعد وفاة الخليفة الرشيد سنة ٨٠٩ هـ ظل ابن الريبع وزيراً واسع النفوذ في عهد الخليفة الأمين .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فقد استعفى ابن الريبع من خدمة الخليفة ، وتوفي بعد ذلك سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٤ م ، وتوفي ماسويه بعده بقليل^(١٠) .

أما ميخائيل ، وهو ابن ماسويه الأصغر ، فقد درس صناعة الطب وتمرس فيها بالدرية والمران ، ثم التحق بخدمة الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣ م) . وكان لا يستعمل الورد المربي ومركب السكنجبين (مركب صيدلاني هاضم ، يعمل من مقدارين من العسل ، ومقدار من الخل ، وأربعة مقادير من الماء النقى) في المعالجة إلا ممزوجاً بالعسل ، وليس بالسكر . وكان يسبّر في معالجاته كلها على نهج الأغريق القدماء ، ويسلك السبل المعروفة في كتبهم اليونانية ، أو المترجمة من اليونانية إلى السريانية في ما يتصل بالغذاء أو الدواء ، سواء أكان الدواء بسيطاً أم مركباً . وقد أغدق عليه الخليفة المأمون من أعطياته ، وجعله موضع ثقته ، فكان لا يشرب دواء ولا يتناول علاجاً إلا إذا كان من تركيبه . وقد جرى سائر الناس في مدينة السلام على منوال الخليفة المأمون ، فكان ابن ماسويه موضع تجليلهم واحترامهم وإطرائهم ،

(١٠) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي (بالألمانية) ، ج ٣ ، ليدن ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٨ - ٩ ، وكالسامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ ، ٦ - ٤١٤ ، ٩٠ - ٧٩ .

ولكنه لم يترك بعده أثراً مخطوطاً ، على ما نعلم^(١١) .

حياة يحيى بن ماسويه وفضله :

أما أبو زكريا يحيى (أو يوحنا) بن ماسويه ، فهو أعظم أفراد أسرة ماسويه وأكثرهم ابداعاً وأوسعهم شهرة ، كما أسلفنا . وقد ولد في جنديسابور حوالي سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م ، ونشأ فيها وتربى ، ثم عكف على دراسة مهنة الطب في كلية الأكثري عراقة في ذلك الزمان ، الواقعية بجوار البهارستان الأنف ذكره . وحين رحل أبواه إلى بغداد رحل معهما هو وأخوه الأصغر ميخائيل ، لتابعه دراسة صناعة الطب والرمان فيها ومطالعة المفيد من كتبها . وقد قام ميخائيل على خدمة الخليفة المأمون بأخلاق وتفوق ، كما أسلفنا^(١٢) .

أما يحيى بن ماسويه فقد تميز باجتهاده وذكائه الواقاد ، وفاق آثاره علمًا ومهارة في عهد الخليفة الرشيد والخليفة الأمين . ثم طار صيته ولمع نجمه في أواخر عهد الخليفة المأمون . وكان ابن ماسويه يلمّ بطرف من اليونانية والفارسية ، وكان يجيد السريانية لغة أمه ، كما كان معروفاً بإتقانه العربية ، فكانت تاليفه كلها بلغة الضاد . ولتضليله من هذه اللغة فقد أجاد في شرح بعض مشتقاتها الطبية ، ومصطلحاتها في الأمراض والأدوية والأغذية . ولذلك عينه المأمون في إدارة مؤسسة بيت الحكمة للاستفادة

(١١) القسطنطيني ، تاريخ ، ص ٣٢٨ ، وأصيبيخ ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ - ٤ ، وشيوخ ، علماء ، ص ٢١٠ - ٣ ، وابن خلkan ، وفيات ، ٢ : ٢٩٤ - ٩ ، ٤ : ٣٧ - ٤٠ .

(١٢) فؤاد إفرايم البُشْتَاني ، دائرة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٤ : ١٣ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، لبنان ، بريل ، ١٩٤٣ ، ١٩٣٧ ، ٢٦٦ ، ج ١ : ٤١٦ - ٧ .

من علمه ، ولا سيما في مجال المهن الصحية وفي النقل والترجمة والبحوث النافعة^(١٣) .

ومن المعروف أنه كانت تتعقد بانتظام مجالس في قصر الخليفة ، وكذلك في قصور ذوي الشأن في الدولة ، يلتقي فيها العلماء والأطباء والفقهاء ، يدور الحديث والحوار فيها حول موضوعات متنوعة من البحوث ، وتعقد فيها مناظرات رفيعة المستوى بحضور الخليفة وإشرافه ، بل ومشاركته ، في جو ودي مفتوح ، يتعاونون فيه جميعاً على معرفة الحقائق العلمية والأدبية ، ويهدفون فيه إلى التعلم أو الإرشاد وكثيراً ما دارت في هذه المجالس مناقشات حول عدد من المسائل ، وكانت هذه المناقشات سبباً في ظهور تاليف عديدة ، أو حافزاً لكتابة مقالات قيمة ، تقدم أجوبة تثير البصر والبصائر حول الكثير من هذه المسائل . وغاية ذلك كله النفع العميم ، وتنمية المعرفة ونشرها في الأوساط العلمية . وبذلك ارتفعت منارات العلم ، وعلا شأن العلماء ، واتسع نطاق الإبداع الفكري وسما ، في مجتمع متقدم علمياً وتقنياً واقتصادياً وعمرانياً ، إلى أرقى مستوى^(١٤) .

في ظل هذا الازدهار والتقدم العلمي ، ولا سيما في مجال العلوم

(١٣) أبو داود سليمان بن حسان بن جليل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ٦٤ - ٦٦ ، وعمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين ، ج ١٢ ، ١٩٦٠ ، دمشق ، ص ٢٦٣ - ٤ ، وخير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٩ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٩ ، وسعيد الديوهجي ، بيت الحكمة ، الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ، ص ٣١ - ٩ and M.G.Balty - guesdon, «Le Bayt al - Hikma de Baghdad » Arabica , 39 (1992) 50 -- 131

(١٤) الملاطي ، تاريخ ، ص ١٢٨ - ٦٢ ، وفليب حتى ، تاريخ العرب ، لندن ، مكملان ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٢ - ١١ (بالإنكليزية) «واليعقوبي تاريخ ، ج ٢ : ٤٠٧ - ٩٢ .

الطبية ، كان لا بد من تطور مماثل في أساليب التعليم المهني والتدرис التخصصي في هذه العلوم . إننا نعلم من وثائق معاصرة أن الطبيب الحكم الدمشقي (المتوفى حوالي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) كان له تلاميذ وأتباع ، يتمرنون ويتدربون على يديه ، ويمارسون المعالجات الطبية اليدوية من فصيل ، وحجامة ، وجبر للعظام وغير ذلك من الاحتيالات الجراحية . غير أن هذه الاحتيالات وتلك المعالجات كلها كانت ، على ما يبدو ، مفتقرة إلى الدراسات الأكاديمية المنتظمة ، وخلالية من التركيز على التعليم المنهجي ^(١٥) .

في هذه الأثناء قام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي ، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبة ، والإشراف على تقدمهم العلمي والأكاديمي . وبذلك مهد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة بعدها ، في مراكز ومدن عربية وإسلامية عريقة ، من دمشق والقاهرة وقرطبة ، إلى الري وبخارى وسمرقند . ونذكر من الطلبة ، الذين أخذوا وتسلموا على ابن ماسويه ، طالبين اثنين ، لمع نجمهما ، وعلا شأنهما بعد ذلك ^(١٦) ، أوهما الطبيب الترجمان أبو زيد

(١٥) غورلت Ernst I. Gurlt ، تاريخ الجراحة ، ج ١ ، برلين ، ١٨٩٨ ، ص ٦٢٤ - ٦١٨ ، وسامي خلف حمارنة ، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ، عمان اربد ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ١٢١ - ٢ ، و « الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي ورسالته المارونية » بلاد الشام في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، تحرير محمد عدنان البخت ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ ، ج ١ : ٤٥٥ - ٥٤٠ .

(١٦) « التصيف الطبي في العصر الذهبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٥ / ٦ ، تحرير ع . عطيات ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ، ص ٧٨ - ٧٥ ، وسامي حمارنة ، « مناهج العلوم الطبية » القدس الشريف ، العدد السادسون ، ١٩٩٠ ، ص ٧٤ - ٦١ ، وتاريخ تراث ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٦ .

حنين بن إسحق العبادي (المتوفى في بغداد سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م) ، الذي بدأ دراسة الطب على يد ابن ماسويه ، ولكنه استخف به في أول الأمر ، ونبذه من مجلسه في الكلية للتقباس في الفهم وقع بينهما . وعلى الأثر رحل ابن إسحق ، وتغرب في بلدان كثيرة ، سعياً إلى المزيد من العلم والخبرة ، وإلى إتقان لغة الإغريق ، واجتهد في ذلك حتى أجادها إجاده تامة . وفي أثناء رحلته زار المكتبات ، وقرأ المخطوطات الطبية بإمعان ، وجمع منها الكثير وأفاد ، حتى فاق طائفة المترجمين من أترابه مقدرة ومهارة ، فانتدبه الخلفاء لترجمتها ، والإشراف على نشرها ، فنقلها في أحسن أسلوب وأدق تعبير ، حتى صار يعدّ من أول وأضخم المصطلحات الطبية العربية ، « وما زال أمره يقوى ، وعلمه يتزايد ، وعجبائه في النقل والترجمة والتفسير والتاليف تظهر » ، حتى صار ينبعوا للمعرفة ومعدناً للفضائل » ، متمسكاً بآداب المهنة ، رافعاً من شأنها . فهرع الأطباء وطلبة العلم يقبسون من ترجماته ، ويتعلقون تاليفه وعلومها ، حتى إن معلمه ابن ماسويه سارع إلى الاستفادة من حكمته ، واعتذر له عما بدا منه ، ودعاه بالابن الرشيد ، وسعى إلى الارتباط به برباطوثيق من الحبة الصادقة والنوايا الصافية^(١٧) .

أما الطالب الشافي فكان إبراهيم بن عيسى (المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٢ م) ، الذي غدا الطبيب الخاص للأمير أحمد بن طولون ، عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام ، وكذلك بعد تأسيس الدولة الطولونية ، التي كانت تضم قسماً كبيراً من بلاد الشام إلى جانب

(١٧) حمارنة ، تاريختراث ، المرجع أعلاه ، ١٩٨٦ ، ص ١٦١ - ٥ ، وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٥ - ٤ ، ولوسيان لوكلير L.Leclerc ، تاريخ الطب العربي ، ج ١ (طبعه الرباط ، ١٩٨٠) ، ص ١٣٩ - ٥١ ، والقفطي ، تاريخ ، ص ١٧١ - ٤ .

مصر أيضاً^(١٨).

لقد اجتمعت لدى يحيى بن ماسويه ، عبر دراساته الواسعة ، وخبرته العملية والموضوعية ، مهارة في العمل ، وفصاحة في البيان ، وحسن في المخاضرة ، وبلغ في ذلك كله شأواً بعيداً لم يبلغه أحد من معاصريه ، ولا سيما في مضمون نقل تراث الإغريق القدماء . لذلك كثُر حساده ، وكثُرت حملاتهم على آرائه وتعليمه . فانبرى الأطباء اللامعون من آل بختشون للدفاع عنه ، فأيرزوا إنجازاته المشرفة ، وأقرروا بافحامه خصوصه بطلاوة حديثه ، وحسن معشره ، وحاجته المقنعة في شؤون الطب والمنهج والأصول الصحية الناجعة^(١٩).

لقد نجح ابن ماسويه في ممارسة الطب ، فسلمه الخليفة المأمون إدارة بيمارستان بغداد مدة من الزمن . لقد كان بيمارستان بغداد شيئاً عظيماً بالقياس إلى بيمارستان جنديسابور ، الذي لم يكن إلا نموذجاً غير متكملاً ، والذي اقتصر في إدارته وعواده على فئة من المشرفين عليه والآوبين إليه . أما بيمارستان مدينة السلام ، الذي تأسس في مطلع القرن التاسع الميلادي ، والذي قام بتنفيذ عربي ، وتحطيط إغريقي - سرياني ، وترويج فارسي - هندي^(٢٠) ، فهو يعد بحق أول مصحّ من نوعه يماثل المشافي ودور الشفاء

(١٨) ابن أبي أصيوعة ، عيون ، ج ٢ : ٨٣ ، وشیخو ، علماء ، ١٩٨٣ ، ص ٣٩ ، ولوكلير ، تاريخ ، ١ : ١٨٢ ، وابن خلkan ، وفيات ، ج ١ : ١٧٣ - ٤.

(١٩) القبطي ، تاريخ ، ص ٣٨٠ - ٨ ، وابن أبي أصيوعة ، عيون ، ج ١ : ١٧٥ - ٨٣ ، وابن صاعد الأندلسي الطليطلبي ، طبقات الأمم ، ص ٣٦ ، وجورج غراف G.Graf ، تاريخ ، ج ٢ (الفاتيكان - روما ، ١٩٤٦) ، ١١٣ - ٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ليدن ، الطبيعة الثانية ، ج ٣ : ٨٩٦ - ٧.

(٢٠) حمارنة ، «البimarستانات ، وأصول التعليم الطبي فيها» ، الفكر العربي ، السنة الثامنة ، العدد ٤٩ ، كانون الأول (ديسمبر ، ١٩٨٧) ، ١٢١ - ٣٤ ، «Vistas» Hamdard Medicus , Vol.32, n03, p.12-15.

العصيرية ، لاتصافه بالصفات الأساسية الثلاث ، التي تتصف بها المشافي الحديثة ، وهي :

أولاً : كونه مركز دار شفاء ، يعني بالمرضى جسمانياً ونفسانياً ، وهدفه الأساسي إعادة المريض إلى صحته وعافيته ، بالوسائل العلمية والمهنية من عناية طبية ومعالجات ورعاية ناجحة .

ثانياً : كونه مركزاً يرحب بزواره من مختلف الفئات الاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو الطبقة أو العنصر ، ويعاملهم جميعاً معاملة حسنة وعلى قدم المساواة ، فيكلؤهم بالرعاية الطبية الصحيحة دون تمييز ولا إجحاف .

ثالثاً : كونه مركزاً صحيحاً للتمرين الطبي والتعليم والتعلم ، تتوافر فيه وسائل نشر البحوث الطبية وتشجيعها ، ويقدم العون والرعاية المهنية للباحثين ، وتعقد فيه المحاضرات والندوات والمناقشات حول تطوير العلوم الطبية وتنسيطها ورفع مستواها ، ودفع الخدمات الصحية قدماً إلى الأمام ، علمياً وأخلاقياً وتقنياً وإدارياً ، وفي مختلف الحقول^(٢١) .

وقد أفاد الطبيب والحدث أبو الحسن يوسف بن إبراهيم بن الداية عام ٨٣٠ هـ / ١٥٢٥ م، أن هارون الرشيد (تولى الخلافة من ٧٨٦ - ٨٠٩) هو الذي أمر بإنشاء هذا البيمارستان . قال ابن الداية : « أمرني الرشيد باتخاذ بيمارستان ، فأحضرت دهشتَكَ من بيمارستان جنديسابور لتقليله زمامه ، فامتنع عن ذلك ». فاستلمه آخرون . ثم إن ابن ماسويه ولـي هذا البيمارستان أيضاً في عهد المأمون ، كما أسلفنا ، وتشجيع من جبريل بن

(٢١) القبطي ، تاريخ ، ص ٣٨٣ - ٤ ، وأصياغة ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٢ ، وحمارنة ، « تاريخ مهنة التمريض » ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة ، ١٩٨٩ ، ص ٦٣ - ٩ .

بختيشوع ، وربما كان ماسویه الأب ضلعاً في هذا الأمر ، مع أنه فضل ، على ما يليه ، البقاء في خدمة الوزير ابن الريبع^(٢٢) .

ومن الأطباء الذين ناصروا ابن ماسویه سلمویه بن بنان (المتوفى سنة ٨٤٠ م) ، الذي عمل طبيباً للمأمون ثم للمعتضم ، الذي كان الأكثر رعاية له . وكان سلمویه والعبادي يقدران كلامهما علم ابن ماسویه الغزير وخبرته واطلاعه الواسع على مآثر قدماء الإغريق وتزوده من مهاراتهم ومعارفهم وأساليب معالجتهم . فقد أفاد منهم ، على سبيل المثال ، أن المريض المصاب بحمى وارتفاع في الحرارة الغريرية يجب معالجته بالأدوية والأغذية الباردة ، وبالعكس يعالج برود أطراف المريض بالمعالجات الحارة^(٢٣) .

وفي العام ٢٢٣ هـ / ١٣٨٠ م أحرز جيش المعتضم انتصاراً حاسماً على جيوش البيزنطيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى ، واحتل عمورية وأنقرة والمدن المجاورة . وقد نقل معظم المخطوطات اليونانية الموجودة في مكتباتها إلى العاصمة العباسية بغداد ، وأودع في بيت الحكم ، ليستفيد منها العلماء والأطباء ، ولكي تترجم إغناء للعلم والمعارف . وقد عين ابن ماسویه أميناً على ترجمتها^(٢٤) .

(٢٢) المرجع أعلاه ، رقم ٢١ ، وحمارنة ، « البيمارستانات » ، مجلة الفكر العربي ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٥ ، « والقيف الطبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٦ ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢٣) القبطي ، تاريخ ، ٢٠٧ - ٣٨٣ ، ٨ - ٥ ، وشبحو ، علماء ، ١٧٠ - ٢ ، والراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورة الشعراء ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ج ١ : ٢٦٣ .

(٢٤) ابن جُلجل ، طبقات ، ص ٦٥ - ٦ ، أصيحة ، عيون ، ج ١ : ١٦٧ -

وقد جرى المعتصم على نهج أسلافه الرشيد والأمين والمأمون ، فجعل قصره ندوة يجتمع فيها الفقهاء والأطباء وأهل العلم ، فيتداولون في سبل الحكمة والسعى إلى الحقيقة ، ويتناقشون في شؤون الدين والعلم والأدب . وكان ابن ماسويه ذكياً ذا فكاهة ودعابة ، سواء في الجد أو في المزاح . وذات مرة كان يتحدث في مجلس العلماء في قصر الخليفة في شؤون الطب ، فأعلن أنه لا يجد مانعاً يمنعه من القيام « بتشريح جسم ابنه » ، الذي كان في طبعه ، خلافاً لأبيه ، بلادة وتخلف عقلي ، وذلك على نحو ما كان يفعل الطبيب الفيلسوف جالينوس (١٣٠ - ٢٠١ م) ، الذي « كان يشرح الناس والقرود » ، وليرى بشريحة أسباب بلادته ، فيريح الناس من سماجته ، ويكتسب أهل صناعة الطب مما يتم اكتشافه « من تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوردته وأعصابه علمًا ، ولكن السلطان يمنع ذلك » .

وما يروى من نوادره « أن رجلاً شكى إليه علة كان شفاءه منها الفصد ، فأشار عليه به » ، فقال الرجل : « لم أعتقد الفصد . فقال له يوحنا ولا أحسب أحداً اعتقد في بطنه أمه ، وكذلك لم تتعذر العلة قبل أن تعتلّ ، وقد حدثت بك ، فاختر ما شئت » (٢٥) .

وقد ازداد نجم ابن ماسويه سطوعاً ولمعاناً في الأعوام الخمسة من حكم الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧ م) ، الذي كان « مشغوفاً ضئيناً به » ، يغدق عليه المال ويرفع من شأنه ومكانته . وكان مجلس ابن ماسويه أعمى المجالس في العاصمة العباسية في زمانه ، سواء أكانت مجالس للأطباء ، أم لعلماء الكلام ، أم للفلاسفة . كان يجتمع في مجلسه أكثر أهل العلم فضلاً ورقة . وكان خفيف الظل كثير الدعاية والطراف ، وقد أقبلت الدنيا

(٢٥) القسطي ، تاريخ ، ص ٣٨١ - ٩١ ، وأصيحة ، عيون ، ١٧٥ - ٦ .

عليه حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم ، حتى غمرته السعادة ، فنال منها ما لم يبلغه أمله .

« وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمةهم إلا بحضور ابن ماسويه . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني (الخزفية) بالجوارشات (أو الجوارشات ، مركبات صيدلانية معاجن علاجية تحوي مواد عطرية تعجن مع العسل أو الشراب لتكون بشكل الحلويات ، وتعرف باللاتينية باسم electuaries) الماضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغزيرة في الشتاء ، وفي الصيف الأشربة الباردة منها . وكان معظمماً ببغداد ، جليل القدر . وله في الطب أسرار (ونوادر وفصول طبية) خلّدتها الناس لنفعها ». وعرف الناس فضله لمهارته وحسن أدائه في التأليف والعلاج ، واعتبروه في مصاف الأطباء القدماء (الإغريق) النابحين ، كأبقراط وجاليوس^(٢٦) .

وقد خدم ابن ماسويه في آخر أيامه – وكان قد طعن في السن – الخليفة المتوكّل في سامراء ، وتوفي فيها في ٤ جمادى الآخرة سنة ٨٥٧هـ/١٤٤٣م ، حسب ما ذكر ابن أبي أصيوعة . ويكون بذلك قد عاصر الرشيد والأمين في أول شبابه ، وتولى رئاسة الطب في قصور الخلفاء الأربع ، من المؤمن حتى المتوكّل . ولم يحظ بمثل هذا الشرف أحد من قبل ، علامة على أفضاله العلمية العظيمة ، مع أن بدايته كانت بسيطة ، ونسبة كان متواضعاً ، ولكنه باجتهاده المتواصل ، وذكائه الخارق ، ودعاته المرحة ، وتأليفه ذات النفع العميم ، تخلّد ذكره ، وتعطرت سيرته ، وطبقت

(٢٦) وستيفيلد=F.Wüstefeld ، تاريخ أطباء العرب ، غوتينغن ، ١٨٤٠ ، ص ٢٣ ، وسارتون G.Sarton ، مقدمة في تاريخ العلم ، طبعة دوبرت كريغر ، نيويورك ، ١٩٧٥ ، ج ١ : ٥٧٤ .

سمعته الآفاق^(٢٧)

ولا يفوتنا ، استكمالاً للحديث عن سيرة ابن ماسويه وحياته ، أن نلقي النظر إلى التقارير والخطوطات والوثائق ، التي كتب معظمها باللاتينية وبعضها بلغات غربية أخرى ، والتي تتحدث عمن يسمونه ابن ماسويه الثاني ، أو الأصغر (Mesuë The Younger) وابن ماسويه الثالث (Third Mesuë) من القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر الميلادي ، في أرجح الظن . أما ماسويه المعروف بالأصغر فهو المارديني (من بلدة ماردين في الأناضول بآسيا الصغرى ، وهي مسقط رأسه) ، فقد عاش في مدينة السلام ، حيث ذاعت شهرته في صناعة الطب . ودخل بعد ذلك في خدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة ، حيث توفي سنة ١٠١٥ م . على أننا لا نعرف له أي أثر مخطوط بالعربية ، وكل آثاره ، التي ذكرها علماء الغرب ، هي باللغة اللاتينية ، وربما كان بعضها مترجمًا إلى العبرية أيضاً على يد الطبيب الكابوي صموئيل بن يعقوب (Capua, ca. ١٢٧٥) . وبعض هذه المؤلفات يقع تحت العناوين التالية باللاتينية (مع بعض الشرح) :

١) De medicinis Laxatives = ١) كتاب في الأدوية المسهلة والمقيمة

٢) كتاب الكافي في الطب مع المعالجات النافعة

2) De consolatione medicinarum et correctione operationum earundem =

3) De egritudinibus = ٣) في أسباب الأمراض المألوفة وعلاجها

(٢٧) أمين خير الله ، *أضخم إسال العرب في الطب* ، بيروت ، ١٩٤٦ ، (بالإنكليزية) ، ص ٦ - ١٠٣ ، لوكليير ، تاريخ ، ١ : ١٠٥ - ١٠٠ ، وكامبيل D.Campbell ، تاريخ الطب العربي ، لندن ، ١٩٢٦ ، ج ١ : ١ - ٦٠ .

4) *Antidotarium sive grabadin medicamentorum compositorum*, Known as the (*pharmacopoeorum evangelista*) ascribed to its translation by Arnold of Villanova completed shortly after 1308 =

٤) كتاب في الأدوية البسيطة والمركبة ، المعروف باسم « الدستور الأساسي في تحضير العقاقير الطبية » ، نسبة إلى ترجمته التي قام بها الطبيب الكيميائي والمعجم أرنولد الفيلانوفى ، وفيلانوفا بلدة تقع بالقرب من بولونيا باليطاليا ، مع أن هذا الطبيب المترجم مولود بالقرب من بلنسية بالأندلس ، بعد استيلاء الإسبان عليها .

كما أن له كتابات حول تقطير النباتات الطبية العطرة ، وكتاباً في التشريح والجراحة باللغة اللاتينية أيضاً ، وإن كان بعضها قد ترجم إلى العربية على أيدي فرج بن سالم ويعقوب بن يوسف اللاوي (أو الهاروني) ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . غير أن هذه الكتابات كلها لا أثر لها في العربية ، ولا يوجد أي ذكر لها في أي مرجع يشير إلى أنها كتبت بلغة الضاد ، أو أن لها صلة مباشرة بالحضارة العربية الإسلامية الأصيلة ، لذلك نصرف النظر عنها ، لأنها لا تعتمد على أصول صحيحة ومحفوظة^(٢٨) .

آثار ابن ماسويه :

كل ما كتبه ابن ماسويه ، أو كل ما هو معروف مما كتبه ، يبحث في الطب ، وفي العلوم الصحية المساعدة . فنشاطاته العلمية والمهنية كلها كانت مكرّسة لخدمة هذه الصناعة الشريفة . وكان ابن ماسويه من خيار

(٢٨) جورج سارتون ، مقدمة ، ج ١ : ٥٧٤ ، ٧٢٧ ، ٦٥ : ٧٩ ، ٢ : ٨٢ - ٤ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٥٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٩٣ - ٩ ، وغورلت ، جراحة ، ٢ : ٦٦٣ - ٩ ، ونيوبرغر Max Neuburger ، تاريخ الطب ، بالألمانية ، ج ٢ (١٩١١) ص ٢٢٦ - ٧ وشولان Ludwig Choulant ، تاريخ علم التشريح ، ليبرج ، ١٨٤١ ، ص ٣٥٤ - ٨ .

الذين مثلوها في زمنه أفضل تمثيل ، سواء في قصور الخلفاء ، أو المراكز العلمية المعترفة ، أو في البيارستان والكلية ، أو بين العلماء والأطباء ، أو عند عامة الشعب . وإن هذا التخصص في المهارات الطبية ، والالتزام به التزاماً كاملاً ، لأمر يدعو إلى الاعتزاز والفخر . لقد ملأ ابن ماسویه بنشاطه فراغاً ، كان لا بد من ملئه ، في عصر كعصره متفتح للحق والنور ، وهو العصر الذهبي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية العريقة ، وهي في أوج نهضتها وانطلاقها ، وبرزت فيه الحضارات المعاصرة لها في ذلك الزمان قاطبة . زد على ذلك أن عباقرة علماء العرب والمسلمين كالكتندي والفارابي وأبن سينا والبيروني ، على سبيل المثال ، لم يحصروا نشاطهم في حقل واحد كما فعل ابن ماسویه ، بل تعدّوه إلى حقول كثيرة ومتنوعة الجوانب : من طب وفلك ، إلى رياضيات وعلم الاجتماع^(٢٩) .

وها نحن نعرض باختصار أهم تصانيف ابن ماسویه المحققة ، أو التي لا تزال مخطوطة تنتظر الشرح والتحقيق ، أو المترجمة إلى لغات أخرى .

أ - كتاب في جواهر الطيب المفردة : حول العقاقير الطبية العطرة (العطرية) الرائحة ، وأسمائها ووصفها والتعریف بمنافعها وفوائدها الدوائية والتجميلية ، والأفواويه والتوابيل ومنابتها . ومنها مخطوطات معروفة : مخطوطة في مكتبة برنسون في نيوجرزي بأمريكا ، في مجموعة قاربت تحت رقم

(٢٩) انظر رسالة التبيه على سبيل السعادة ، لأبي نصر محمد الفارابي (المتوفى بدمشق حوالي ٩٥٠م) ، تحقيق سجعان خليفات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ ، ص ١٩ - ٥٠ ، وساراتون ، مقدمة ، ج ١ : ٦٢٨ - ٩ ، وحمارنة ، تاريخ تراث ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ٤٤ - ٥٥ ، وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية ، ١٩٧٥ ، ص ٤٠ - ٤٢ ، ٩ - ٩٣ ، كتاب الحماهر مع معرفة الحماهر ، مقدمة بالإنكليزية ، همدرب ، ١٩٨٨ ، ص ٣ - ٩ .

٢/٢١٥٤ ، تم نقلها عام ١٩٤٥هـ/١٩٥٩م ، ومحفوظة بدار الكتب بالقاهرة ، وأخرى في طهران ، ملك رقم ٦/١٥٦٩ ، في ست ورقات ، نقل القرن ١١هـ/القرن ١٧م^(٣٠) .

قام بتحقيق هذا الكتاب بول سبات ، تحت عنوان بالفرنسية في مجلة معهد مصر = (Bullet. de L'Institut d' Egypte) ، ج ١٩ ، القاهرة Martin Levey, «I. Mäsawayh ١٩٣٧ and his treatise on simple aromatic substances», Jour. Hist. of Med. and Allied Sciences, 16 (1961) , 394 – 410 .

ب - كتاب هاء الشعير : مقالة صغيرة ، توجد مخطوطة منها بالقاهرة ، وأخرى بالجزائر تحت رقم ١٧٤٦/٧٦ق٢ - ١١٣ ، نقل القرن ١٠هـ/١٦م ، قام بول سبات بتحقيقها أيضاً ، وفي المجلة نفسها بالقاهرة ، ج ٢١ (١٩٣٩) ، ص ١٣ - ٢٤ . وما يؤكد أصالة هذه المقالة أن الرازى أتى على ذكرها في كتاباته .

وقد سبق للغريق أن كتبوا في هذا الموضوع ، ضمن الكتابات الابقراطية ، كما أن جالينوس نوّه بفائدة هذا العلاج . وأول من أشار إلى هذا الموضوع بدقة واهتمام من الأطباء العرب ، طبيب معاصر لابن ماسويه ، ولكنه أكبر سنًا منه ، هو أبو الحسن الدمشقي ، وذلك في رسالته الهارونية ، التي أنجزها حوالي عام ٧٨٠م في مدينة السلام ، قبل أكثر من ثلاثة عاماً من كتاب ابن ماسويه الموسّع ، والأكثر توضيحاً وشمولاً في

(٣٠) سرکین ، تاریخ ، ٣ : ٤ - ٢٢٣ ، اولمان Manfred Ullmann ، الطب في الإسلام ، لیدن ، بریل ، ١٩٧٠ ، ١١٢ - ٥ .

الوصف والعلاج^(٣١)

ج - **كتاب الأزمنة** : في علاقة الطب بعلم الترجم ، المعروف منذ زمن البابليين وقدماء المصريين . وقد أشارت إلى ذلك الكتابات الأبقراطية الإغريقية ، في كتاب الأهوية والمياه والأماكن ، في ثلاثة مقالات حول المياه والمناخ والأمزجة والفصول حسب الأمكانية طبياً وجغرافياً وتاريخياً ، وعلاقة ذلك بانتشار الأمراض ، وأثره في جسم الإنسان . توجد منه مخطوطة في القاهرة ، وببرصبة في تركيا في مجموعة رقمها ١٧٩٤/١ - ١٧ ، نقل القرن ١١ هـ / ١١ م . وقد ذكرها هلموت ريتter (H. Ritter) في مجلة الشرق (Oriens) ، ج ٣ (١٩٥٠) ، ص ١٠٣ ، وفي الاسكندرية بالمكتبة الأهلية ، رقم ٢/٣٣٢٨ في مجموعة متاخرة النقل ١٨٢٩-١٢٤٥ م ، حققها بول سباستيان في المجلة المصرية ، ج ١٥ (١٩٣٣) ، ص ٢٣٥ - ٥٧ . كما ذكرها الرازى تحت عنوان تدبير الأزمنة^(٣٢) .

د - **ذَغْلُ العَيْنِ** : فحص هذا الكتاب الصغير الحجم ، الحاوي على ٤٧ باباً مختصرأً ، أ.د. نشأت الحمارنة ، وما يرهوف وآخرون ، فاعتبروه أقدم كتاب تعليمي مستقل في طب العيون جرى تصنيفه بلغة الضاد . أما باليونانية ، فقد نشر ديمو سينيس فلايلثيس Demosthenes (Philalethes) في زمن ديسقوريديس Dioscorides (حوالي العام ٦٤ م ، كتاباً هاماً في طب العيون ، ولكنه مفقود . لذلك يحق لنا اعتبار كتاب ابن

(٣١) « عيسى بن الحكم الدمشقي (المتوفى عام ٨٤١ م) ، ورسالته الهارونية » بلاد الشام ، ص ٥٧٧ ، وذكره ابن أبي اصبيعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ .

(٣٢) ابن أبي اصبيعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ ، وسركين ، تاريخ ، ٣ : ٢٣٤ .

ماسویه أقدم ما هو موجود ومحقق في هذا الموضوع في تاريخ طب العيون ، يلیه كتاب عشر مقالات في العین لتلیمیذه أبي زید حنین بن إسحاق العبادی (٨٠٩ - ٢٧٣) .

ويتميز أسلوب دخل العین بالأصالة والحيوية ، ومن مزایاه التعريف بأحوال المريض الصحية للثبت من معالجته . وقد اعتمد المؤلف في اقتباس المصطلحات الطبية على الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وقد أحسن الترجمة ، وكذلك في تشريح العین وأمراضها ومعالجتها . وكان أول من وصف مثلاً مرض السبل المتكون من نوعية دموية تظهر على القرنية بسبب الحشر (أو الحفر ، أو الرمد الحبيبي ، وباليونانية التراخوم لخشونتها) .

ومن المعتقد أن الكتاب عرف في الغرب ، فقد ترجمه فُسْطَنْطِين الأفريقي (المتوفى سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٧م ، في مونتي كاسينو بایطالیا) ، وعرف به بتفصیل أكثر بروفر و مايرهوف (C. prüfer and M. Meyerhof, 1916) في مجلة الإسلام الألمانية ، ج ٦ ، ص ٢١٧ - ٢٥٦ ، وكذلك باغله (I. Pagel, Die angebliche chirurgie de I. Mesue). أما بالعربية فالكتاب نادر الوجود ، ذكره سباط في فهرسته (١٩١٩ : ٩٧ ، رقم ٩٧ بحلب) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في القاهرة ، طب تیمور رقم ١٠٠ (ق ٩ - ١) ، وفي مخطوط الكناش المشجر الكبير (الباب ٢٧) فصل حول أمراض العین ومعالجتها ، وسيأتي شرح ذلك (٣٣) .

(٣٣) نشأت الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، دمشق ، ص ٤٤ - ٨ ، «الكحالۃ في العصر العربي الأول» ، مقالات حول العلم ، تحقيق الحکیم محمد سعید ، کراتشي ، ١٩٨٧ ص ٧٥ - ١٠ .

هـ - **محنة الكحالين** : في تعريف أهمية المهنة ، وامتحان ممارسيها من هم أهل لتعاطيها باستحقاق ، وهو كتاب على شكل سؤال وجواب ، لتعريف طلاّبها بأفضل الأجرة في وصف الأمراض وتحديد أسلوب العلاج ، مع كل ما في ذلك من تطويل لا مسوغ له . وقد أتى على ذكر هذا الكتاب الرازي والقمري في القرن الرابع هـ / ١٣٤ (٣٤) .

و - **النواذر الطبية أو الفصول الحكيمية والنواذر الطبية** : وهي أمثال في آداب المهن الصحية ومارستها ، وقواعد ذهبية فلسفية ، وأقوال سائرة مأثورة ، وبدويات في التدابير الطبية ، في حوالي ١٣١ فصلاً ، مهدأة من المؤلف إلى تلميذه سابقاً ، وزميله وصديقه الحميم لاحقاً حنين العبادي . ويخاطبه فيه كابنه الرشيد في مسالك الهدى وحبّ الخير ، وأنه

يعتقد كاتب هذا المقال بان يحيى بن ماسويه نَسَرَ كتاب دغل العين ، أولاً ، ثم بعد ذلك بزمن ليس بقليل ، أكمل كتابه المشجر والحاوي في الباب ٢٧ شرحاً لأمراض العين وتشريحها ومعالجتها ، بعد أن زاد فكر المؤلف نضجاً ، وبحر في العلم ، فأخذ يتوجه نحو الواقعية في التفسير والدقة في التعبير وصار أجمل أسلوباً وأفضل أداءً . ويرجو الكاتب أن يخصص دراسة أعمق لتقويم هذا الكتاب ، ولا سيما القسم المختص بالكمالة فيه .
أما كلمة دغل العين الفصيحة لغويًا فتدل على أن ابن ماسويه يملك ناصية التعبير بلغة الضاد والدغل يدل على ما يدخل صفاء العين ويُشوب نقائصها ، فيفسد وضوح الرؤية ، ويضعف قوتها ورونقها ، فيصبح العلاج لازماً لشفاء العين وتسرد صحتها .

(٣٤) توجد من هذا الكتاب الصغير نسخة موجودة في مكتبة نور عثمانية تحت عنوان معرفة العين وطبقاتها وأسمائها ومجاريها وأصول تركيبها وسائل في عللها وامتحان في كيفيةيتها وكيفية تركيبها رقم ٣٥٧٦ (٤) ق ٢٨٠ / ب - ١٤٩ ب ، بخط نسخ $\frac{1}{2} \times 13 \times 18$ سم ، كتبه على آسطواني المتضيق عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٦ م . انظر بروكلمن ، ملحق ١ : ٤١٦ ، وسركين ، ٣ : ٢٣٣ ، والبرت ديريش ، الطب عند الهنود ، غوتينغن ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٠ - ١ . وهناك خطوطه منه في القاهرة ، وأخرى في بطرسبرج في روسيا ، ولكن لم افحص أية نسخة منها بعد .

متمم الآمال بنيل النجاح وبلغ المراد ، إذ وجده أهلاً للحكمة ، ومجتهداً في التخصص ، مستعداً لإكمال كتاب حيلة البرء للفاضل جاليوس ، ونقله من اليونانية إلى اللسان العربي^(٣٥) .

قام بتحقيق هذا الكتاب أولاً بول سبات بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، ثم بتحقيق مفصل مع ترجمة ومقدمة فرنسية وفهارس مفيدة (طبع جنيف - وباريس ، ١٩٨٠) . وأول من ترجمه إلى اللاتينية قسْطَنْطِينُ الْأَفْرِيقِيُّ الْسَّابِقُ ذكره ، وقد طبعت الترجمة في إيطاليا عام ١٤٧٨ م « وفي بولونيا أيضاً عام ١٤٨٩ . وهذا نحن نقتبس منه بعض الأفكار الهامة :

- ١ - الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بنصوص الكتب دون عمل الحكيم الماهر خطير .
- ٢ - النفس المطبوعة تعين الصناعة الطبية والطبيعة المدببة ، وبالعكس .
- ٣ - الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع ، فإن لكل حكيم نزعة عظيمة الخطط .
- ٤ - كما أن أخلاق النفس موروثة عن الآباء والأجداد ، كذلك الأمراض المزمنة موروثة عنهم ، لا سيما في الأعضاء الرئيسية .
- ٥ - إذا عالجت فيها يقرب من الاعتدال ، وتطيب رائحته ، وإذا أمكن أن

(٣٥) أهدى المؤلف ابن ماسويه هذا الكتاب لابنه حنين ومنه نسخ مخطوطة في : الاسكندرية والقاهرة (في مجموع في ٣٢ صفحة نقل ٩٩٣ هـ) ، وبيكبة رشيد في اسطنبول رقم ٣٧٧ (٢) ق ٢٥ - ٣٤ ، نقل ١١٩ هـ ، ولinden تحت رقم شرق ١٢٨ (٢) ١٤١ - ٦ ، بتاريخ ٧٢٤ هـ ، وغوتينغن رقم ٩٩٩ ق ١٧٠ - ١٧٦ ، وفي الرباط رقم ٤٠٤ (٣) ق ٣١ - ٦٤ وتاريخ النقل ٨٦٢ هـ ، نقل الطبيب ناصر الدين محمد بن خضر ، وبيكبة مدريد الوطنية ، رقم ٥٢٤٠ في ٩ ق ، وبيكبة الأزهر بالقاهرة في مجموع ١١٨٤ ، ق ٦٧ - ٧٥ وتاريخ النقل ١٣٤٠ هـ / ٧٤١ م .

يُفتدي به ، فذلك الغاية .

٦ - النفس تابعة لزواج البدن ، فمتي عَرَضْت علة ، لاسيما في الأعضاء الرئيسية ، لا تدع معالجة النفس بما يُشَّم وينظر إليه ويُفرح به ويطيب سماعه ، فذلك باب عظيم في العلاج .

٧ - معالجة الصد بالصد يجب أن تكون على سبيل المناورة ، لا على سبيل الامتزاج .

٨ - ينبغي للطبيب أن يوهم المريض الصحة أبداً ويرجيه فيها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأنحصار النفس .

٩ - الأطباء الأميون والمقلدون والأحداث ، ومن قلت عنایتهم وكثُرت شهواتهم فَتَالُون جداً .

١٠ - ينبغي للطبيب ألا يدع مساعدة المريض عن كل ما يمكن أن تولد عنه علته ، من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضي بالأفضل .

١١ - إذا أسرع الطبيب بالمحاوية في كل مسألة ، فليُتّهم .

١٢ - ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ، وموضع آماله ، ثم يصوروها له ، ويرجونه فيها ، وينشطونه إليها .

١٣ - ينبغي للطبيب أن يتتشبه في علاجه بفعل الطبيعة ، وإن طال العلاج وعُسر وبعد ، ولا يعالج بما يظهر منه نفع على غير تدبر الطبيعة ، لأنه خدعة كالكيمياء (تحويل المعادن الرخيصة إلى الفضة والذهب بواسطة الأكسير) .

١٤ - ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد من يوثق بهم من الأطباء ، فخطوه في جنب صوابه يسير جداً . ومن سائل في مرضه كثيراً من الأطباء أوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

١٥ - مما ينبغي للأطباء ، إن أرادوا قرب الحقيقة ، أن يركبوا لكل علة دواء

مستنبطاً على قدر حدتهم ومتى حدتهم .

١٦ - ليس شيء في الطب يسير المؤونة : فأسهل مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أصعب مرض وأغصنه ، وأغمض مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أسهل مرض وأهونه في العلاج .

١٧ - الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من الآباء ، لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالماً صحيحاً .

١٨ - إذا استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة^(٣٦) .

ز - كتاب في إصلاح الأدوية المسهلة ، وتركيبها ، وخاصة كل واحد منها ومنفعته ، وفي ترتيب سقى هذه الأدوية بحسب الأزمنة والأمزجة ، وكيف ينبغي أن يُسقى العليل ولمن غيره ، ومتى وكيف يعان إذا احتبس ، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط . وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان *De medicamentorum Purgantium delectu et castigatione* ، ولكننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة مخطوطة بالعربية^(٣٧) .

(٣٦) كان الأب بول سبات الأسبق إلى القيام بهذا التحقيق عام ١٩٣٤ . وبعده ، في عام ١٩٨٠ ، قام بهذا التحقيق بالعربية والفرنسية = D. Iacquart and G. Trupeau = انظر الصفحتان : ٥ - ١٩ ، ١٨ - ١٠٦ ، ١٤٤ - ٨ وقد ذكر النواذر أيضاً ابن أبي أصيبيعة ، حيون ، ص ١ : ١٨٣ .

(٣٧) ولكن الطبيب أبو بكر الرازي ذكره في كتاب الحاوي الكبير ٥٢ مرة في شرح الأمراض وسبل معالجتها ، كما نشر في إيطاليا (في فلورنسا) عام ١٨٧٦م ، وفي عام ١٨٩٣ ذكره المؤرخ موريتز شتاينشنايدر في طبقاته وتواريخه *Die hebr. übersetzung* . في ترجم علماء العصر الوسيط ، رقم ٤٦٥ وص ، ٧١٨ ، وسزكين ، تاريخ ، ج ٣ :

ـ **الكتاش المشجّر الكبير** : يُعدّ هذا الكتاش (أو الدستور الطبي التعليمي للأمراض والتعلق بالمعالجات الدوائية) من أكبر تاليف ابن ماسويه وأجلّها شأنًا في بابه ، وهو مشجّر لأنّه يحوي جداول أو رسوماً بيانية مصورة تبين أسباب هذه الأمراض ، ودلائلها ، وتشخيصها ، والمعالجات المناسبة ، حسب أمزجة الجسم والاختلاط فيها . ومن هذا الكتاش توجد ثلاثة مخطوطات معروفة :

١ - مخطوطة بانكبيبور بالهند ، في المكتبة العامة الشرقية ، المجلد الرابع (١) رقم ٢١٦٧ في ١١٧ق غير كاملة ، موجودة في خزانة خدابخش ، في مدينة بنده - بيهار ، وهي بخط نسخ معتاد واضح ، ترجع إلى القرن ٩ هـ / ١٥ م ، في الصفحة ٢٢ سطراً ، والمقياس : $\frac{1}{2}$ سم × ١٥ سم (٣٨) .

٢ - مخطوطة تحت عنوان **كتاش عمل الأمراض ودلائلها وعلاجهما** (المشجّر الكبير) في مكتبة مولانا محمود البركات بتونك ، بخط نسخ جميل نفيس في ١٥٢ق ، المقاس ١٨ × ٢٤ سم ، تم نقلها في ٩ جمادى الأولى عام ١٢٠١ هـ / ١٥٩٧ م على يد الطبيب أبي المظفر بن علي بن أبي الفتوح القرشي ، المولود في مدينة حمص السورية ، والذي درس مهنة الطب في دمشق ، حيث واصل ممارسة المهنة بعد تخرجه ، كما عمل طبيباً في البهارستان النوري الكبير ، وكان فضله في عمله معروفاً ومحموداً حتى وفاته سنة ١٢١٢ هـ / ١٥٦١ م .

(٣٨) حصل كاتب هذه المقالة على نسخة من هذه المخطوطة مصورة بخط نسخ واضح مع الجداول ، وهو يقدم الشكر للمسؤولين في خزانة خدابخش في بنده بالهند لإذنهم بفحصها وتقديمها . انظر الوصف في فهرس المخطوطات المصورة ، تحقيق إبراهيم شبوح ، ج ٢ (٢) طبع القاهرة ، معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة ١٩٥٩ ، ص ١٧٣ - ٤ .

إن ما قمنا به من شرح وتعليق على هذا الكتّاش يعتمد على نص هاتين المخطوطتين المذكورتين آنفًا مولانا برّكات أَحْمَدُ وَخَلِيفَهُ ابْنُ الصِّمْدِ محمود البرّكات ، مصوّرتين في صورتين شمسيتين على (الميكروفلم) ليدرسهما كاتب هذا التّحقيق . ونحن نسجل الشّكر الجزيل للمسؤولين عن المكتّبين لما قدموه من مساعدة في الحصول عليهما .

وفي آخر نسخة مولانا برّكات فصل نقله الناتج عن الأصل يفيد بأن الكتاب قد ألفه ابن ماسويه باللغة السريانية ، واحتفظ به بين كتبه للاستفادة منه ، وربما كان يقوم بمراجعةه وإكماله وتدقيقه ، فجاء متكملاً المعاني جمّ الفوائد ، حتى لقد أثني عليه كل من ابن جلجل والقاضي القسطي . وهذا الفصل يوضح أن المتّبّع أبو عيسى دانيال بن يوحنا وجد هذا الكتّاش بين كتب ابن ماسويه من دون ترجمته إلى العربية ، فلما حانت وفاته أراد أبو عيسى إخراجه لفائدة الطبيب المارس وطالب الطلب معاً ، لما فيه من منافع في علامات الأمراض وأسبابها ومعاجحتها ، فأعلم بذلك منصور بن طلحة مولى أمير المؤمنين (ال الخليفة المُتَوَكِّل ؟) – وكان أبو عيسى يعمل أيضًا في قصر الخليفة – فطلب إحضاره ، فلما رأه وأعجب به ، وفيه جداول التشجير ، أمر أبو عيسى ابن يوحنا بترجمته من السريانية إلى العربية لإجادته السريانية إجاده تامة . ولكنّه شكّا من أن بعض المصطلحات والمشتقّات صعبة معقدة لم تُعْرَفْ أصليةً بالعربية ، فطلب مساعدة من القاضي غسان بن محمد من أهل الكوفة ، ومن عبد الله بن مصعب ، فأكمل الترجمة^(٣٩) .

(٣٩) شِبَّوْح ، فَهْرَوْن ، ج ٢ (٢) ، ص ٩ - ١٥٨ ، وتقديم بالشّكر للمسؤولين عن مكتبة مولانا للسماح لنا بدراسة هذه المخطوطة على الميكروفلم (صورة شمسية) ، وهي أكمل نسخة لهذا الكتّاش ، تم نقلها بواسطة المتّبّع أبو المظفر بن علي بن الفتوح القرشي بدمشق عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٧ مـ من الآباءين . انظر أيضًا أصيحة ، عيون ، ج ٢ : ٢٠١ .

٣ - ومحفوظة ثلاثة في خزانة رضا رامبور (١٤٩٤ رقم ٢٠٤ طب ، تقع في ١٥٦ق ، وتاريخ النقل في ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م) ^(٤٠).

وها نحن نشرح هذا الكتاش بأبوابه كلها ، ونقومه باختصار :

الأبواب الأربع الأولى : كتاش عمل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها ، المعروف بالمشجر الكبير ، يبدأ الكتاش بداء الشعلب وأسبابه ، والاستدلال على أنواعه ومعالجتها ، ثم الحزاز ، والفصل بين داء الشعلب وداء الحية : في السبب والشكل والمكان في الجسم . فداء الحية يكون في جلد الجسد كله ، وداء الشعلب يكون في شعر الرأس وال الحاجب واللحية ، ثم البثور في جلدة الرأس ، وأنواع الخراجات والقرود وأنواعها وأسمائها ، وتسبيب القمل في الرأس وفي البدن ، وعلاج ذلك .

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) ، أو كلياً ، وما هو كائن من سوء المزاج ، أو من الورم ، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم ، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين ، مع الحمى أو بدونها ، أو ما يعرض له من الخارج ، مثل ضربة (أو حرّ) الشمس ، أو شرب الخمور المسكرة ، وتشخيص أنواع الإصابة ، وأوصافها ، والأخلاط المشاركة ، وطرق المعالجات ، بما في ذلك الشقيقة (migraine) أو الصداع النصفي .

الأبواب من السادس حتى الشاهن : في النسيان وأسبابه والتشخيص ، والسبات السهرى كعالة مركبة agrypnno coma (فهي سبات مع التيقظ

(٤٠) ظهرت كتابات يحيى بن ماسويه الطبيبة المتميزة كالنواذر وماء الشعير ، وجواهر الطيب وآخرها الكتاش قبل نظائرها من كتابات الرازى بأكثر من ٧٥ سنة ، والمجوسي بحولى ١٤٠ سنة ، وقبل شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧م) بحوالي ١٨٠ سنة . انظر سرذين ، تاريخ ، ج ٢ : ٢٣١ - ٣٦ .

والهذيان) والعلامات والأ نوع والعلاج ، بما في ذلك العلاج الغذائي . وفي السدر ، وهو الحيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر ، والدوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس ، وعند العامة الدوحة=Vertigo) ، والأسباب والعلامات ، ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه . ومن الجدير بالذكر أن بعض الأمراض الجلدية وعلاج الصداع والسدر والدوار لها مقالات منفصلة في أهم المراجع العربية^(٤١) .

الباب التاسع : في الوجع المسمى باليونانية قرانيطس ، وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه ، أو في أغشيته (وهي الحجب التي تحيط بالدماغ) أو الرسام الحار ، وعلامة شدة الوجع في الرأس ، وتنوع العينين ، واحمرار الوجه ، وثقل في الرأس ، وسبات ، وقلق شديد ، وهذيان (أو اختلاط العقل ، أو التهاب السحايا=meningitis) .

الباب العاشر : في الوجع المسمى فلغموني ، أي الورم الحار الكائن في الدماغ ، مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ ، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه ، ترافقه حمى حادة . يعالج بالفصد ، مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة ، ويُسقى المريض ماء الشعير والعناب والخباري والبقلة اليانية .

الباب الحادي عشر : في الحمرة في الدماغ مع الوجع الشديد في الرأس كله ، والالتهاب وبرد الوجه وصفرته ، ويسُس الفم . ويعالج بالفصد ، ويُسقى المريض ماء العناب والتمر الهندي والإجاص ، أو يُسقى ماء الشعير

(٤١) في المراجع والهوامش ركزنا في البيبليوغرافيا على ما تم ذكره من كتب ابن ماسويه في كل من ابن جلجل وابن النديم والقططي وابن أبي أصيحة وغيرهم من المؤلفين حتى زمننا . ونعتقد أن بعض هذه الكتب المنسوبة إلى ابن ماسويه مستقلة قد تكون قد اشتغلت على هذا الكتاب موزعاً حسب عناوين أبوابه الثمانين .

مع الرمان وماء عنب الثعلب مع الخيار شنبر وأكل البقلة اليهانية والقطيف^(٤٢).

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر : في كثرة النوم العارض في الحميات تعرضاً للأحلام الغريبة ، والفرع ، واسترخاء الجبين ، والرطوبة في الرأس ، والسبات ، والماليخوليا أو داء الوسوس ، وفساد الفكر وذهاب العقل بلا حمى ، والمرaci النافع واحتلال العقل ، ولووع شديد وعيت ، ثم الهديان وذهاب العقل .

الباب السابع عشر: في الصرع (باليونانية = epilepsy = scizure). وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جمجمة الجسم ، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً ، إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين .. أما مقدماتها : فحزن بغير علة ، وتبه العقل ، والنسيان ، وردية الأحلام ، والصداع . ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة : ففي حالة الصبي الرضيع ، أو من هو أكبر سنًا تكون « راسخة في الدماغ نفسه » ، وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه . وأكثر ما يتعرض للأطفال ، وبعدهم للصبيان ، ثم للمرأهقين ، وقلما ت تعرض للكهول والمساين .

وعلامة الصرع : « سقوط العليل ، وامتداد جسده ، وارتعاشه ، وصياده ، وظهور الزيد من الفم » ، وأعراض أخرى تحدث أيضاً . أما

(٤٢) رجعنا في هذه المصطلحات والمعالجات لعدة مراجع منها : سعيد الخوري الشرتوبي اللبناني ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ورمزي مفتاح ، النباتات الطبية والمرفات العطرية ، القاهرة ، الباي الحلبي ، ١٩٥٣ ، وابن القف الكركي ، جامع الغرض ، تحقيق حمارنة ، ومطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص ٥٠٠ - ٦٤٠ .

العلاجات ، ولا سيما الغذائية منها ، فيذكرها المؤلف بالتفصيل ، كما يقترح «امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء»^(٤٣) .

الأبواب من الشامن عشر حتى الحادي والعشرين : في الرعنونة وفساد مؤخر الدماغ=cerebellum؟ أما القُطْرُب فنوع من الماليخوليا ووسواس الرأس والهوس وفساد العقل مع شدة العطش . والكابوس ، وهو ما يحصل للإنسان في نومه ، فيزعجه ويضيقه . ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لثلاث علل : الصرع والmania (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بفترة ، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام . وأما العشق فيسبب كآبة صماء ، مع ألم نفسي وكثرة في الحركة ، وتكون العيون غائرة جافة ، وتذبل أعضاء الجسم كلها ، ويعي المريض عند ذكر من يحب أو سماع اسمه ، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلى الألحان الجميلة ، ومصادقة من يحب أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً^(٤٤) .

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين : في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقين أو كليهما ، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره ، وانقطاع الأفعال المدببة والحس والحركة في جميع الأعضاء . أما مقدمات

(٤٣) انظر أيضاً : الفرائد الدرية – عربي – انكلزي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، إبراهيم مذكور وإبراهيم انيس ومن معهم ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، مطبع دار المعرف ، ١٩٧٣م ، ومهدب الدين أبو الحسن علي بن هيل البغدادي ، كتاب المختارات ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٦٣هـ ، ج ٢ (الجزء الثالث) .

(٤٤) ابن هِيل البغدادي المختارات ، الجزء ٣ : ٢٠ - ٥٤ ، واليس انطون الياس ، القاموس العصري ، الطبعة الثامنة أو بعد ذلك ، القاهرة .

السكتة : فصداع شديد ، وانتفاخ الأوداج ، ودوار ، واحتلاج ، وبرد الأطراف . وأكثر ما تُعرض للمشايخ .

أما اللقبة فهي - كما يرى ابن ماسويه - استرخاء جانب الوجه ، وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح . وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة . ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة ، ومنه ما لا علاج له . أما التشنج فيكون إما من الامتلاء وتواقي الرطوبة ، أو من الخلاء وتواقي اليأس . وأما الامتداد فيُعرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً . وينجم إما عن تعب ، أو نوم على الأرض ، أو عن حمل ثقيل ، أو سقطة ، أو من حرق النار ، أو ضربة . وأما علة الارتعاش ف تكون من ضعف العصب ، وتعالج بالدواء والغذاء^(٤٥) .

الباب السابع والعشرون : في أوجاع العين : كالورم الحار في العين ، وانقلاب الجفن وخشنونته ، أو انتفاخه وتورمه ، والجسا ، والحكة ، والناصور ، والشعر الزائد المنقلب ، وانتشار الأشفار ، وقرحة العين ، ونتوء العنبية ، واجتماع المادة في القرنية ، والظفرة ، وسرطان القرنية ، والقروح ، وضعف البصر ، والعشي (العشاش) ، والحوّل ، وفي طرق المعالجة^(٤٦) .

(٤٥) البغدادي ، اختارات ، المراجع أعلاه ، ج ٣ : ٦٠ - ٧٩ ، ودوري لأند في القاموس الطبي المصور (بالإنكليزية) ، الطبعة ٢٦ وما بعد ذلك ، مطبعة سوندرز ، فيلادلفيا ، ١٩٨١ م .

(٤٦) البغدادي ، اختارات ، الجزء ٣ : ٨١ - ١٣٩ ، ونشأت الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، و«المهدب في الكحل لابن النفيس» ، دمشق ، مطبع ألف باء ، ١٩٨٦ ، ص ٣ - ١٢ ، والحمارنة ، «مقدمة حول طب العيون العربي» ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص ١٥٣ - ٨٥ .

الأبواب من الشامن والعشرين حتى الثاني والثلاثين : في أوجاع الأذن وعللها وأنواعها : كالانسداد في الأذن ، والورم في المجرى ، أو تجمّع التبّع فيه ، أو دخوها (الأذن) شيء من خارج ، أو دم يسیل من الأذن ، أو وسخ ، أو دود يتولد فيها ، وعلاج هذه العلل . ثم في أوجاع الأنف والمنخرین : كأن تنبت في المنخرین زوائد ، أو أن يسیل منها الدم (الرعاف) ، أو أن تسیل إليهما رطوبة منتشرة من الرأس ، وسبل العلاج بلي ذلك ذكر أوجاع اللسان : كالأورام ، والقرح ، والتتشنج ، ومعالجة ذلك . ثم يأتي ذكر البَحْر ووجع الفم والأسنان وفسادها : ويكون من نوع الطعام والشراب ، أو مضغ الأشياء العلقة ، أو كسر أشياء صلبة ، ومعالجة هذه العلل . ثم تورم اللّهَاة (uvula) والحنك واللوزتين والخوانيق ، وما يُعرض لها ، وعلاجهما^(٤٧) .

الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الشامن والثلاثين : في النوازل ، والزكام ، والسعال وأسبابه وأنواعه ومعالجته ، وفي وجع التهاب ذات الرئة ، الذي يعرض فيها عقب النوازل ، أو الخوانيق الشديدة والبرّسام ، ونفث الدم من الصدر والرئة ، أو من الحنك والحنجرة ، أو من المعدة والبطن ، أو من الرأس ، وعلاجه . وفي التقرّع أو التبّع من الحجاب الحاجز ، أو من الصدر والرئة . وفي الخراجات (abscesses) الكثيرة ، سواءً كانت حادة ، أم سُنْخية ، وسواءً كانت باردة ، أم حارة ، أم قيءٍ (emetic) . أما التهاب ذات الجنب ، أو البرّسام (pleurisy) ، فيقول ابن ماسويه فيه : «إنه يعرض في الحجاب الحاجز ، أو الغشاء المحيط بالرئة (أو ذات

(٤٧) البغدادي ، المختارات ، الجزء ٣ : ١٤٢ - ٨٩ ، وأ.ل. كليرفييل وترجمة مرشد خاطر ومن معه وتحقيق حسني سبع ، معجم المصطلحات الطبية الكبير اللغات ، دمشق ، ١٩٨٣ (١٤٠٤) .

الجنب) » ، ومنه ذات الجنب الحالصة الحادة ، وغير الحالصة الحجاجية ، وفي العضلات الحجاجية = *diaphragmatie*^(٤٨) .

الأبواب من التاسع والثلاثين حتى الحادي والأربعين : في أوجاع القلب : الغثي ، وسقوط القوة ، والخفقان . ثم أوجاع الثدي . أما تغير رواح العرق ، والصستان في الإبطين وجميع الجسم ، والعقاقيير والأطالية المزيلة للرائحة ، وأهم الأدوية الناجعة (deodorants) ، فالكلام فيها في هذه الأبواب مختصر .

الباب الثاني والأربعون : في أوجاع المعدة ، كالعطش ، والاحترق ، والقيء ، والفواق (المَهْقَة أو الزُّغْطَة عند العامة = hiccup) ، والتهوّع ، والشهوة الكلبية = bulimia (البقرية) ، أو الشعور بالجوع شعوراً زائداً غير طبيعي ، أو ضد ذلك بذهاب هذه الشهوة ، وفي الأورام والقرح الحادثة فيها وأعراضها : كالذبول ، والغثي ، والنفخة ، والتشنع . ويرى ابن ماسويه أن وجع المعدة يمكن أن يسبب الهيستن (الكوليرا) ، كحركة مفرطة في البطن يسببها التسمم ، وكثرة الرياح فيه ، والتعدد في الشراسيف^(٤٩) .

الأبواب من الثالث والأربعين حتى الثامن والأربعين : في أوجاع الكبد : كضعف القوة ، والسُّلَد ، وسوء المزاج ، والورم الفلغموني الحار أو الصلب ، وأنواع هذه الأوجاع ، وعلاماتها ، وأعراضها العامة . ثم في

(٤٨) ابن هُبَّل البغدادي ، *الختارات* ، الجزء ٣ : ١٩٢ - ٢١٦ ، والموسوعة الطبية The Mosby تحقيق و. د. غلائز ومن معه ، المطبعة الأميركية الجديدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ .

(٤٩) البغدادي ، *الختارات* ، ٣ : ٢٥١ - ٨٧ ، وكتاب المعدة وأمراضها ومداواتها ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزار القمياني ، تحقيق سلمان قطابية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ص ١٣ - ٢٠ ، ٧٣ - ٢٥٧ .

اليرقان ، محموداً كان أم رديعاً ، وعلاجه . وفي مرض الاستسقاء ، وتعريف مصطلحه العربي (الطبول) ، ومنه الطبلي ، والزقي ، واللحمي ، وهذا يمكن أن يعالج بداخلة جراحية ، في رأي ابن ماسويه ، بقطع عرق الباسليق الأكحل ، ثم بالمعالجة الدوائية والغذائية بمنتهى الدقة وحسن التدبير . ثم في أوجاع الطحال والعلل العارضة من الأطعمة ، وهي متعددة . وتعالج بالأدوية الملطفة الناجعة . وفي الاختلاف في المنشأ : من المعدة ، أم من الكبد ، أم من الأمعاء ، والاستدلال على كل منها ، ومعالجتها على حدة . ثم حول المفاص (colic) وأنواعه : من الربيع ، أو الكيموس ، أو خلط المرة الصفراء ، والاستدلال على كل منها ، وسبل المعالجة^(٥٠) .

الأبواب من التاسع والأربعين حتى الحادي والخمسين : في القولنج ، منفرداً كان أم مشتركاً مع الكبد ، أو البطن ، أو الكلي وغيرها من الأعضاء ، وأنواعه ، وطرق معالجة كل منها . ويدرك أن مرضًا في الماء (أو الأمعاء) الدقيق ، اسمه بالسريانية معناه « رب ارحم » ، لا يغير الدبل ، فيقي صاحبه من علة القولنج ، ومن هنا جاء اسمه .

ويرى ابن ماسويه أن عمل الأجسام الطبيعية أربع : الفاعلة كالنجر والبناء ، والعنصرية كالخشب والحجارة ، والآلية كالمشار والناس ، واليمامية كالباب والبيت . وهذه تتوافق مع تكوين الديدان في الحشا ، وهي : الديدان الطوال في الأمعاء الدقيق ، والعراض في الأمعاء الغلاظ ، والصغار التي تتكساثر في الماء المستوي (وهو المستقيم) ، وهي الأقل ضرراً ، والسريعة الخروج من البدن كالطوال ، مع الاستدلال على الأعراض ،

(٥٠) البغدادي ، المختارات ، ٣ : ٣٤٧ - ٩٩ ، وج . ميكينز J.C.Meakins

ممارسة الطب (بالإنكليزية) ، الطبعة الثالثة ، موسبي ، سنت لويس ، ١٩٤٠ .

وتداير خروجها ، والشفاء (أو الخلاص) منها^(٥١) .

الأبواب من الثاني والخمسين حتى المستين : في أوجاع الكلى ، والأعراض الجامعة للقولنج ، ولن به حصى الكلى ، أو حصى في المثانة ، واستدللات ذلك . ثم في الورم الحار أو الدموي في الكلى ، أو نضجه واستحالته إلى القيع ، والمساجة جراحياً ودوائياً وغذائياً . وفي تقطير البول وعُسره واحتباسه ، وأنواعه والعلاج . وفي وجع الديابيطس (الداء السكري diabetes mellitus) ، ومعناه باليونانية عبور البول وخروجه (مع العطش الشديد المفرط) . وهذا يكون يحيى بن ماسويه رائداً بين الأطباء العرب ، إذ كرس فصلاً كاملاً لهذه العلة . ثم باب في سيلان المنى ومعالجة ذلك ، والأمراض التناسلية في الذكور ، ومنافع الجماع ومضاره ، وتجنب ذلك . وفي الأوجاع التي تعرض للذكر وفيه ، كالورم ، والقرح ، والخراج الصلب ، والمعالجة^(٥٢) .

الأبواب من الحادى والستين حتى الرابع والستين : في الرحم ، من الناحيتين التشريحية والفيزيولوجية (الوظائفية) ، وموانع الحبل من قبل الذكر أو الأنثى ، وعلامات الحبل وأعراضه : كوجع المراق والظهر ، والغثيان . ثم ما يعرض في الرحم من أمراض : كالورم ، ولا سيما السرطاني منه ، الذي ليس له براء ، ولكن يُعمل في تسكين أوجاعه . ثم في احتباس الحيض أو

(٥١) البغدادي ، المختارات ، ٣٠٩ - ٤١ ، وما رشيا ستانهوب M.Stanhope

تدبير طب المجتمع في الممارسة الصحية ، سنت لويس ، موزبي Mosby Co. ، ١٩٨٤ ، ص ٥٩١ - ٦٨٦ .

(٥٢) البغدادي ، المختارات ، ٣ : ٣٩ - ٤٠٣ ، وستاينغاس F.Steingass =

قاموس فارسي - انكليزي ، لندن ، ١٩٦٣ ، عبد اللطيف البغدادي ، مقالتان ، تحقيق بول غليونجي ومن معه ، التراث العربي ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٣ - ٥٧ .

اختناقه ، أو ميلانه ، أو انقلابه ، والمعالجات في ذلك . وفي علامات الذكر والأثنى ، وعسر الولادة وعلاجهما . وفي احتباس دم الحيض ، أو نزفه ، وسببه ، والمعالجة ، أما الباب الرابع والستون فهو باب في أوجاع المقدمة وال بواسير وعلاجهما^(٥٣) .

الباب الخامس والستون : في النقرس ، ولا سيما الآلام الشديدة في إبهام القدم = Hllex . وفي عرق النساء ، وهو وجع يتدلى في حق الورك وينتشر ، فباقي الكعبه والخنصر متداً ، وسببه ، والاستدلالات ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وتضميداً^(٥٤) .

الأبواب من السادس والستين حتى الثاني والسبعين : في القوباء ، سواء في أعضاء البدن أو في اللحية (الذقن = impetigo) ، والاستدلالات ، والمعالجة . وفي البرص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض مع الحكاك الشديد ، ويسمى الوضح ، لبياض لونه . ويبدأ العلاج بتأن ، ثم يتدرج بالذك الشديد ، فإذا أحمر الجلد سريعاً كان العلاج هيناً ، وإذا أحمر ببطء كانت العلة عسيرة الشفاء ، وإذا لم يحمر البة كان البرص متقدماً جداً ، ولا يقبل العلاج . أما البهق = Vitiligo ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ويعالج جراحياً ، وبالدواء والغذاء . ثم في الحمرة ، والاستدلال عليها بسرعة انتشارها ، أو

(٥٣) ابن هليل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٤ : ٢ - ٧٩ ، الطفل في الطب العربي ، أبحاث ، جمع واعداد عبد الكريم أبو شورب ، ج ١ ، طرابلس ، جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ ص ١١١ - ٩ ، ٢٣٩ - ٤٠ ، ٣٢٧ - ٤٠٧ .

(٥٤) البغدادي ، المختارات ، ٤ : ٨٤ - ١٢٣ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، « في وجع النقرس » ، مجلة فاييسيس ، فلورنسا ، ايطاليا ، ج ٢٠ (١٩٧٨) ، ٣١ - ٤٨ .

انتفاخها ، أو ثباتها من غير انتشار ، والمعالجة . أما الخدر ، الذي يعرض للأصابع ، مثـن بـرـد شـدـيد ، أو شـقـاق ، وأوـجـاع الأـظـفـار ، فيـكـون عـلـاجـه بالـأـطـلـيـةـ والمـراـهـمـ وـالـأـدـهـاـنـ الدـوـائـيـةـ المـنـاسـبـةـ .

وفي علة الجمار يقول ابن ماسويه : « أما علة الجمار فهي تنفيط ، كالذى يعرض من حرق النار ، فإن كانت في اللحم أبـيـضـتـ سـرـيـعاـ ، وإن كانت في الحـجـبـ وـالـعـصـبـ طـالـتـ وـأـلـمـتـ ماـحـوـلـهاـ ، وـوـلـدـتـ وـرـمـاـ حـارـاـ مع تـقـيـحـ » ، وـيعـالـجـ جـراـحـياـ وـدوـائـياـ .

أما علة الجذام فأسبابها قد تكون وراثية من الآباء ، أو يكون سببها خلل في سير استمراء الغذاء أو ردائه ، أو انسداد في الطحال ، أو عدم صلاح مكان الأيواء لخلوه من الهواء النقي . ومن الجذام نوع يمكن علاجه ، « نوع رديء ، يولـدـ قـرـوـحاـ ، وـيـسـقطـ الـلـحـمـ ، وـيـسـرعـ بـصـاحـبـهـ إـلـىـ التـلـفـ » ، وـيعـالـجـ كـلـاهـماـ جـراـحـياـ وـدوـائـياـ . وـمـنـاسـبـةـ الكلامـ فيـ الجـذـامـ قـيلـ فيـ المـرـاجـعـ التـارـيـخـيـةـ عنـ كـنـاشـ ابنـ مـاسـويـهـ إـنـهـ كـتـابـ لمـ يـسـبـقـهـ أـحـدـ إـلـىـ مـثـلـهـ (٥٥) .

الأبواب من الثالث والسبعين حتى التاسع والسبعين : « في السُّيْحَنْجِ ، الذي يكون من الخفـ واللـحـمـ النـابـتـ فيـ أـصـوـلـ الأـظـفـارـ » ، وـيعـالـجـ بـحرـقـ نـعـلـ الخـفـ ، وبـذـرـ رـمـادـهـ عـلـيـهـ ، أوـ بـذـرـ مـسـحـوقـ الـأـقـاـقـيـاـ acacia ، أوـ الصـمـغـ الـعـرـبـيـ ، وـيعـالـجـ الـلـحـمـ النـابـتـ فيـ الـظـفـرـ بـالـمـطـبـوـخـاتـ وـالـلـطـاخـاتـ الدـوـائـيـةـ .

(٥٥) البـغـادـيـ ، الـخـتـارـاتـ ، ٤ : ١٣٣ - ٥٢ ، ابن الـفـفـ الـكـرـكـيـ ، جـامـعـ الـغـرـضـ ، الـجـامـعـةـ الـأـرـدـنـيـةـ ، ١٩٨٩ ، صـ ٥٣٢ - ٥٦٣ ، وـابـنـ جـلـجلـ ، طـبـقـاتـ ، صـ ٦٦ ، وـالـقـفـطـيـ ، تـارـيـخـ ، ٣٨١ (ويـقـولـ هـنـاـ عـنـ الجـذـامـ أـنـهـ كـتـابـ شـرـيفـ) وـذـكـرـ أـيـضاـ ابنـ أـبـيـ أـصـيـبـعـ ، عـيـونـ ، جـ ١ : ١٨٢ - ٣ (لمـ يـسـبـقـهـ أـحـدـ إـلـىـ مـثـلـهـ) .

أما المسامير ، التي تخرج في أصابع الرجل ، فتعالج جراحياً ودوائياً ، في حين أن داء الخنازير (scrofula) يعالج بالمراميم والأدوية «أكلة اللحم» . وأما داء الفيل (elephantiasis) ، فمرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساقي ، تخلله عجر صغيرة ناتئة ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما الباب السادس والسبعون ففي معالجات الحكة والجرب . وفي وباء الحدري والخصبة ، والأعراض ، وطرق المعالجة ، ويليه الباب السابع والسبعون في الأكلة ، ومعالجتها بالأدوية والأدهان . وفي حرق النار والتورّة (وهي خليط من أملاح وأحجار الكلس والزرنيخ والبورق) ، والمعالجة بالمراميم والأدهان . ثم الباب الثامن والسبعون في عض الكلب الكلب ، وعلامته أن الكلب المصابة يذهب عقله ، ولا يتصور الماء أو يشربه ل أيام ، ويرعد ، ثم إنه يصرع صاحبه بدون معرفة ، ويُبَعَّ صوته ، ويكون مفتوح الفم محمر العينين ، ويؤذى كثيراً من عضمه . ثم الباب التاسع والسبعون في لدغ الحيات والعقارب والزنابير والجرارات ، ومعالجة من أصيب بلدغها^(٥٦) .

الباب الثانون : وهو الباب الأخير في هذا الكتّاش البالغ الأهمية ، وهو «في الحميات وأعراضها وعلاجها ، من عمل دانيال بن يوحنا من كتاب يحيى بن ماسويه ، قال : الحمى هي حرارة خارجة من الطبيعة ، ترسل من القلب في العروق إلى سائر البدن ، فتضطرّ بالأفعال الطبيعية . وهي ثلاثة أجناس : في الروح كالحمى اليومية ، أو في الأعضاء الأصلية الصلبة ، أو

(٥٦) البغدادي ، المختارات ، ٤ : ١٧٣ - ٦ ، ١٧٩ - ٩٧ ، ٢٠١ - ٤ ،
وصطبون R.L.Sutton أمراض الحمل (بالإنكليزية) ، الطبعة العاشرة ، سنت لويس ،
موزلي ، ١٩٣٩ .

الحمى الكائنة من الكيموسات المسمى حمى العفن».

أما الحمى اليومية فتكون إما في الروح النفسانية أو الحيوانية أو الطبيعية، وخصائصها تتحقق بالبول أو بضم العروق وصعود الحرارة وانتشارها. وأما الحمى الكائنة في الأعضاء الصلبة فتؤثر في القلب، حسب الأختلاط وأنواع الأمزجة. وأما حمى العفن والمطبيقة فيستدل عليها بالأشياء الطبيعية، أو بالأشياء الخارجة من الطبيعة، أو الأشياء التي ليست بالطبيعة. ويكون علاج الحميات بالدواء والغذاء بالمركبات المعروفة، والمردات كالسكنجبين ومياه الخضر والنباتات العطرية والبذور المطبوخة.

ولعل هذا الباب مأخوذ عن مخطوطات أخرى، نقل عنها مع بعض التنقيح، وفصل عنها ليكون مستقلًا^(٥٧).

ولابن ماسويه آثار مخطوطة أخرى، ذات صلة أكيدة بـالكتناش المشجر الكبير، أو هي متضمنة فيه، وهي جديرة بالاشارة إليها، منها: كتاب (أو مقالة، أو باب) الحميات، والجذام، والسموم وعلاجهما، والقولنج، والمعدة، كتاب معروف بـالرجحان، والمالبخوليا (أو داء الوسوس، أو الاكتئاب، أو مرض السوداء) وأسبابها وعلاماتها وعلاجهما، وعلاج الصداع (وعلله وأوجاعه، ألفه لعبد الله بن طاهر)،

(٥٧) وفي موضوع الحميات هناك نسخ مستقلة لا بد من درسها فما كتبه يحيى بن ماسويه في هذا الباب كان عظيم الأثر في الأطباء الذين جاؤوا بعده: من الرازى، فإسحاق بن سليمان الاسرائيلي، وكتابه: الحميات، وأحمد الطبرى، وعلى الجوسى والزهراوي وابن سينا وابن بطلان وابن زهر وغيرهم. انظر المسائل في الطب للمتعلمين، لأبي زيد حنين بن إسحاق العبادى، تحقيق محمد أبو ريان ومن معه، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨، ص ١ - ١٧ ، ٢٠ - ٢٢ ، ٤٠ - ٦٧ ، ٩ - ٨٤ ، ٩ - ٨ ، ٨ - ٢١٣ ، ٦ - ٢٢٥ ، ٩ - ٢٥٩ ، ٩ - ٢٩٢ ، ٨ - ٢٨٠ ، ٦٥ - ٦٠ ، ٩ - ٩ .

والسلدر والمدوار^(٥٨).

ومن بين أصحاب الترجم في العصر العربي الذهبي ينفرد ابن أبي أصيبيعة (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ/١٢٩٨م) بذكر كتاب الحنين لابن ماسويه . كما نجد في الأبواب من الحادي والستين حتى الثالث والستين من **الكتناش المشجّر الكبير** موضوعات تقترب في مضمونها من موضوع كتاب الحنين ، وذلك تحت عنوان : الرحم وأوجاعه وعلاجه ، وعلامات الذكر والأثني ، وهل يمكن معرفة فيما إذا كان حَمْل المرأة هو ذكر أم هو أنثى ؟ وشرح عُشر الولادة ، واحتباس دم الرحم ونزفه ، ومعالجة ذلك .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة خطوطية فريدة (رقم ٢٤٩ ق ٢٤٢ ب - ٢٤٦ أ ، تاريخ نقلها قرن ١٥هـ/١٥١م) ، تحت عنوان : مقالة في الحنين وكوئنه أو تكوينه في الرحم ، عرفها الأستاذ فؤاد سزكين ، وحصل على نسخة مصورة منها ، وقامت الدكتورة أورسو لا فايسر U.Weisser بدراساتها ، وتقويمها ، والتعليق عليها بالعربية والإنكليزية . وقد عاين هذا الجموع كاتب هذا المقال في زيارته لمكتبة الجمع في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٦٤ ، ونأمل أن يكون بقي محفوظاً وسالماً حتى الآن^(٥٩) .

(٥٨) انظر كتاب القولنج ، لأبي محمد بن زكريا الرازى ، تحقيق صبحي حمامى ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربى ، ١٩٨٣ ، ص ٧ - ١٧ ، وكتاب المعدة لابن الجزار تحقيق قطاطية ، وفيه صفة أقراص الكوكب من كتاب النجع لابن ماسويه ، ص ، ١٨٧ ، وفي الماليخوليا ، لاسحاق بن عمران تحقيق سليم عمار ، الطب الإسلامي ، ١٩٨١ ، ص ١٧١ - ٩ ، وعن عبد الله بن طاهر بن الحسين (المتوفى عام ٢٢٠ هـ/٨٤٤) ابن خلكان ، وفيات ، ج ١ : ٤٢١ - ٢ - ٤٢١ ، وج ٣ : ٨٣ - ٩ ، كتاب علاج الصداع يكون قد ظهر قبل ذلك بستين زمن المعتصم .

(٥٩) أ. فايسر ، « علم الأجنحة لدى يوحنا بن ماسويه » ، مجلة تاريخ العلوم الفرعية ، جامعة حلب ، ج ٤ (١٩٨١) ، ص ٩ - ٢٢ بالإنكليزية ، ٩٤ - ١٠٠ بالعربية .

وليحيى بن ماسویه آثار مخطوطة أخرى ذكرها مؤرخو هذه الحقبة في أكثر من مرجع ، وهي : البرهان ، وهي كتاب في ثلاثين باباً ، والكمال وال تمام ، وال بصيرة وال فحص وال حجامة ، والأغذية والأشربة ، أو إصلاح الأغذية ودفع مضارها ، وال حمام (دخوله) ومنافعه ومضاره ، والسؤال وال سنونات ، والت شريح ، ألفه للمأمون ، أو ترکيب خلق الإنسان وأجزاءه وعدد أعضائه وأسباب الأوجاع^(٦٠) .

وهناك كتب ورسائل منسوبة لـ يحيى بن ماسویه ، ولكننا غير واثقين بصحة هذه النسبة ، لعدم وجود ما يؤكدها ، ومنها كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره ، والنجح أو النجح (في التداوي) ، في وصف الأمراض والشكاوي . ذكره الرازي في الحاوي ، والبيروني في كتاب

(٦٠) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار في كتابه : المعدة وأمراضها ومداواتها ، تحقيق قطایة ويدركه يحيى بن ماسویه في عدة أماكن (ص ٨٦ اقتباس من كتاب التمام والكمال ، ص ٩٩) ان اشتراك الدماغ مع فم المعدة (الفؤاد) يعرض منه ابليسيا ، وكذلك (ص ١٠٠) عن الشهوة الكلبية واعتلال آلة الشهوة في فم المعدة وأملها وأيضاً (ص ١١٤) صفة أعراض آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ لـ سـوءـ مـزـاجـ المـعـدـةـ المـسـبـبـ بـالـحرـارـةـ ، (وـصـ ١١٦) صفة شراب آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ يـنـفعـ فـيـ قـعـ الصـفـرـاءـ المـتـوـلـدةـ فـيـ المـعـدـةـ وـسـيـاهـ مـطـفـئـ الـوـهـجـ . ويقول فيه ابن الجزار : « وقد اختبرناه فحمدناه » ، (ص ١٢٢) ، وصفة جوارشن آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ للـرـشـيدـ (وـرـعـاـ المـصـودـ الـمـأـمـونـ) نافعاً في فساد المعدة وبردها من البلغم ، (وـصـ ١٥٦ - ٧) صفة شراب آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ فـيـ إـيقـاظـ شـهـوـةـ الطـعـامـ عـنـ انـقـطـاعـهـاـ أوـ ضـعـفـهـاـ نـافـعـاـ مـنـ الـحـرـ المـسـتـحـكـمـ وـالـوـهـجـ وـالـغـثـيـ وـهـوـ مـجـرـبـ وـنـافـعـ ، (ص ١٧١) صفة نفوع آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ يـنـفعـ مـنـ شـدـةـ الـعـطـشـ وـالـحـرـارـةـ وـيـسـ الـحـلـقـ وـالـفـمـ وـهـوـ مـجـرـبـ وـنـافـعـ ، وـأـخـيرـاـ (ص ١٨٦) صفة حـبـ آلـفـهـاـ ابنـ مـاسـوـيـهـ يـسـتـعـمـلـ عـلـىـ الـرـيـقـ نـافـعـ مـنـ النـفـخـةـ فـيـ المـعـدـةـ وـالـرـيـحـ المستحکمة فيها . هذه الاقتباسات إما أن تكون من كتابه في المعدة المسما بالرجحان ، أو في الكثاث المشجر الكبير ، أو من كلها .

الصينية) . ومنه نسخة مخطوطبة في القاهرة رقم ١٦ طب ، ومحشة العروق^(٦١) .

إن آثار يحيى بن ماسويه المخطوطۃ المعروفة والمحفظة ، والمتوافرة بالعربية أو في ترجماتها إلى اللاتينية ، بوجه الخصوص ، تسمح لنا بأن نقول إنه قد ملأ فارغاً كبيراً في مجال تطوير المهن الصحية في عصره ، وهو عصر حاسم وخلاق ، بعث في العلوم الصحية روحًا مجددًا ومبدعة ، وأعطى الطب العربي ، بفروعه المختلفة المعروفة آنذاك ، دفعة قوية إلى الأمام^(٦٢) .

لقد منح ابن ماسويه بكتاباته حيوية وانطلاقاً لما يمكننا أن نطلق عليه اسم الطب العربي من ناحية ، وأسهم ، من جهة أخرى ، بقسط عظيم في نقل التراث الطبي الغريقي - السرياني ، ولا سيما في الفترة الممتدة من العصور المسيحية ، إلى بزوغ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الثاني للهجرة .

أما معاصره ابن ماسويه المشهورون ، فمنهم : أسرة الدمشقي ، ولا سيما الحفيظ أبو الحسن عيسى بن الحكم ، والثلاثة الأوائل من آل

(٦١) انظر ابن الجزار ، في المعدة ، تحقيق قطایة ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ ، يقتبس هنا صفة أقراص الكوكب ألفها يحيى بن ماسويه من كتاب *الصحن* (أو *المنجع*) يصف بأنها تنفع من وجع المعدة ومن الربع وزيادة البلغم والمغض والجلشاء ولشد البطن . انظر سرکین ، تاريخ ، ٣ : ٥ - ٢٢٢ ، بذكر المرأة السوداء أو الماليخوليا ، مخطوط مشهد بايران ، رقم ٥٢٢٢ ، وخطوط طهران ، بمجلس شواری ، رقم ٥٢٨ في ١٤٣ق ، تاريخ النقل ١٣١٥هـ / ١٧١٥م ، حول *المنجع* لابن ماسويه .

(٦٢) سوريناوتروپيو J.Sourina et Tropeau ، « ابن ماسويه » ، *Clio* Medic ، ١٩٦٨ ، ج ٣ : ١٧ - ١٠٩ ، ومييلي A.Mieli ، « التشريح عند ابن ماسويه » ، *Archeion* ، ١٩٤٢ ، ج ٤٢ : ٤٣٨ - ٢٤ ، والعلم عند العرب (في الفرنسية) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٦ ، ص ٧١ - ٢ .

بنخثيسوع ، وسرابيون وولداه ، والكتبي وصديقه الحمييان أبو الحسن علي بن سهل الطبرى (المتوفى حوالي ٢٤٦هـ/٨٦١م) ، وأبو زيد حنين العبادى ، وأسرة الطيفورى . هؤلاء هم الرعيل الأول من واضعى أسس العلوم الطبيعية العربية بفروعها المختلفة . ومن حق ابن ماسویه علينا أن نذكر له فضله في هذا المقام ، وأن ندرج اسمه في عداد هذا الرعيل . الحالى^(٦٣) .

(٦٣) ابن أبي أصيحة ، عيون ، ج ١ : ٨٧ - ١٢٠ ، ولوكلير ، تاريخ ، طبعة الرباط ، ١٩٨٠ ، ج ١ : ٩٩ - ١٤٢ ، وتاريخ تراث ، جامعة البرموك ، ١٩٨٦ ، ج ١ : ٦٠ - ١٢١ .